

الشيعة المتصوفة



د. ناصر القفاري
gamra19822@gmail.com
@prof_algefari

كتب كثير من العلماء والباحثين عن التصوف، وكتب آخرون عن الصلة بين التصوف[١] والتشيع[٢]، مبيِّنين التشابه العقدي والمنهجي بينهما؛ كالتشابه بين عقيدة الولاية عند الصوفية والإمامة عند الشيعة، وعقيدة العصمة للإمام عند الشيعة وعقيدة الحفظ للولي عند الصوفية، والتأويل الباطني عند الشيعة الباطنية والتأويل الباطني أو الرمزي أو الإشاري عند الصوفية، وتقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة عند الصوفية كتقسيم الدين إلى تنزيل وتأويل عند الشيعة... وقد خص بعضهم هذه المسألة بمصنفات مستقلة[٣].

---

(١) المقصود بالتصوف والصوفية هنا: الطبقة الثانية والثالثة بحسب تقسيم المحققين من أهل العلم لدرجات التصوف، فإن التصوف في مراحله الأولى كانت حقيقته الزهد في الدنيا والانقطاع لعبادة الله، والاجتهاد في طاعته، ثم انحرف التصوف إلى الرهبانية والتعلق بالبدع والمنكرات، ثم تطور إلى الشطحات والضلالات في العقائد والأعمال كالحلول والاتحاد (انظر: «مجموع الفتاوى» ١١/ ١٨ وما بعدها).

(٢) المقصود بالتشيع والشيعة هنا: التشيع الإمامي الإثنا عشري، إذ أصبح لفظ «التشيع» عند الإطلاق في عصرنا لا ينصرف إلا إليهم، وما عداهم زيدية أو إسماعيلية، وإن كان هؤلاء ليسوا بشيعة، وإنما هم سبئية باطنية رافضة (انظر: «أصول مذهب الشيعة» ١/ ٦١-٦٥ الطبعة الرابعة).

(٣) مثل: «الصلة بين التصوف والتشيع»، «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر» للباحث الشيعي العراقي د. مصطفى كامل الشيبي، «العلاقة بين التشيع والتصوف» للباحث فلاح بن إسماعيل مندكار، و«العلاقة بين الصوفية والإمامية» للباحث زياد بن عبد الله الحمام.

وكان محور الحديث وأساسه هو التشابه العقدي بين الصوفية والشيعة، لكن لم توجد - فيما أعلم - دراسة علمية مستقلة تتناول التيار الخفي الباطني الرافضي المتقنّع والمستتر بالتصوف، مع أنه أخطر ما في الاتجاه الصوفي، بل هم الذين وراء اتساع الانحراف في دوائر التصوف حتى وصل الحال ببعض الباحثين المعاصرين إلى القول بأنه لا يوجد في التصوف اليوم معتدل، بل كلهم غلاة[1]، وذلك لاتساع دائرة هذا التيار وتغلّب مظاهره وآثاره على الاتجاه الصوفي، وهذا التيار هو الذي قاد ولا يزال يقود ركب التصوف نحو الغلو والتطرف.

وقد عرفت هذه الطائفة وأدركت أهمية دراستها؛ لأنني ابتليت بدراسة المذهب الشيعي بفرقه المختلفة، فأمضيت ما يزيد على ثلاثين سنة بحثاً ونظراً وتدريساً وتأليفاً[2] ورحلاتٍ متعددةً للبحث عن موارد المذهب ومقابلة بعض رموزه وجمعياته والوقوف على نشاطاته والتعرف على مخططاته، ومراجعة مناهجه الدراسية، وزيارة مشاهده ومزاراته... إلخ.

أما التصوف فقد عنيت بشأنه أيضاً بحثاً وتأليفاً[3]، وكذلك أثناء تدريسي مادة التصوف لطلاب وطالبات الدراسات العليا في الجامعة[4].

وهذه الصلة القائمة بين التصوف والتشيع والتشابه العقدي بينهما، ترجع في الأساس إلى تلك الخلايا الباطنية المنتشرة بين الطرق الصوفية، والمستترة بقناع التصوف، حتى بدأ بعضهم يدرس ما يسميه «التصوف السني»، وهو السالم من الوقوع في براثن الكيد الباطني وانحرافات الرافضة المتصوفة.

وقد تبيَّن لي من خلال دراستي وتدريسي لكلا الطائفتين، ضخامة الخطر وخطورة الداء المتمثل في التيار الشيعي الباطني الذي يسري في كيان التصوف الخرافي، ويسخره لخدمة أغراضه.

والملاحظ أن سلاح التشيع الباطني، وسلاح التصوف الغالي ذي الأصول الباطنية؛ من أخطر ما وجه لضرب الأمة من داخلها، بل هما من أمضى الأسلحة الخفية المؤثرة سلباً داخل كيان الأمة الإسلامية، وقد استخدم أعداء الأمة الظاهرون والمستترون هاتين الطائفتين لغزو الأمة من داخلها؛ ولذا فقد اعتنى أهل الاستشراق بدراستهما، حتى إن المستشرق دونلدسن بقى في إيران ست عشرة سنة لدراسة التشيع، ثم أخرج كتابه «عقيدة الشيعة».

واهتم المستشرق الفرنسي ماسينيون بالتصوف، وأمضى حياته في دراسة هذه الطائفة، بل اهتم بالشخصيات المتطرفة منهم كالحلاج، حتى لقب بـ «عاشق الحلاج».

وهؤلاء المستشرقون - كما هو معروف - يعملون مستشارين في وكالات الاستخبارات ووزارات الخارجية في بلادهم، وتبنى على بحوثهم ودراساتهم وتقاريرهم مواقف وخطط وحروب وسياسات.

وقد ذكر الأستاذ الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - بأنه اطلع على تقرير استشراقي سري يفيد بأن أفضل طريقة لمواجهة انتشار الإسلام هو تغذية هذه المذاهب والطوائف ودعمها وتشجيعها.

وتتجلى خطورة هذا التيار الخفي من «التشيع الصفوي» المستتر بـ «التصوف»، في بُعده العقدي والأمني والسياسي والاجتماعي، فلقد تسللت المجوسية الفارسية التي تتخذ من «التشيع» وسيلة لخدمة أهدافها السياسية، وإقامة إمبراطوريتها الفارسية، وإعادة مملكتها البائدة ومجدها الغابر؛ تسللت إلى التصوف على سبيل الخصوص، وإلى المجتمعات الإسلامية على سبيل العموم، بواسطة هذه الطائفة والمتأثرين بها.

والخطورة الكبرى في هذا الاختراق الشيعي ترجع إلى كثرة عدد الصوفية وانتشارها واتساع نفوذها وعلو مكانة بعض شيوخها لدى بعض الساسة وأصحاب القرار في بعض الدول. ولإدراك أبعاد هذا الخطر انظر إلى آثار الاختراق

---

(١) مثل الشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه الله -، الذي قال: «كنت أظن أول الأمر أن بعض الغلاة هم الذين أساؤوا إلى التصوف والصوفية، وأن الغلو والتطرف هو الذي جلب عليهم الطعن وأوقعهم في التشابه مع التشيع والشيعة، لكنني وجدت - كلما تعمقت في الموضوع، وتأملت في القوم ورسائلهم، وتوغلت في جماعاتهم وطرقهم، وحققت في سيرهم وتراجمهم - أنه لا اعتدال عندهم، كالشيعة تماماً، فإن الاعتدال عندهم كالعنقاء في الطيور» (التصوف.. المنشأ والمصدر، ص ٦).

(٢) ومن المؤلفات: «مسألة التقريب بين السنة والشيعة»، «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية.. عرض ونقد»، «بروتوكولات آيات قم»، «البدعة المالية عند الشيعة الإمامية»، «حقيقة ما يسمى بزبور آل محمد»، «البراءة من المشركين عند الشيعة الإمامية»، «الشيعة والتشيع» (وهو تحقيق ودراسة بالمشاركة مع د. سلمان العودة لكتاب أحمد الكسروي رئيس المحاكم الإيرانية في زمنه، والأستاذ في جامعة طهران، والذي نقض المذهب من أصوله)، وتهذيب ودراسة لكتاب «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» لموسى جار الله (آخر شيخ للإسلام في روسيا).

(٣) من خلال كتابيَّ: «الموجز في الأديان والفرق والمذاهب» بالاشتراك مع أ. د. ناصر العقل، و«العقيدة والأديان والاتجاهات المعاصرة»، وهو مقرر دراسي على المستوى الثالث في الثانوية بالاشتراك مع آخرين.

(٤) حيث تم استحداث مادة دراسية جديدة في جامعة القصيم، وربما لأول مرة على مستوى المملكة للدراسات العليا، اسمها : «مادة التصوف».

الإيراني باسم التشيع لبعض فرق الزيدية، وهي «الجارودية»[1]، وتأثيراته الخطرة على بلاد اليمن وما جاورها[2]، ثم انظر إلى اختراقهم المجتمع اللبناني بواسطة ما يسمى «حزب الله».

ثم أرجع البصر إلى محاولة إيران احتواء نصيرية سورية باسم التشيع لعلي رضي الله عنه، مع أن المصادر الأساسية لشيعة إيران - أعني الشيعة الإمامية الإثني عشرية - تقرر في مصادرها المعتمدة لديها تكفير النصيرية صراحة[3]، كما أن النصيرية لا تبشر بمذهبها؛ لأنه مذهب سري باطني، إلا أن إيران - لا سيما بعد الثورة الخمينية - اتخذت من دعوى التشيع طريقاً إلى نشر دينها في المجتمع السوري، ونجحت - بواسطة التخطيط الإيراني - في احتواء النصيرية، ولذا ظهر «الغَزَل الشيعي» بين آيات قم ورجال الدين النصيريين، فأصدر - مثلاً - رجل الدين الشيعي الإيراني حسن الشيرازي بعد زيارة له لسورية، رسالة بعنوان «العلويون شيعة أهل البيت»[4]، ثم تطور الأمر واتسع الخطر إلى درجة تجنيد ملالي الرافضة في قم لبعض الجهلة والمرتزقة من أتباعهم لدعم النظام السوري النصيري العلوي في سورية، كعصابات «حزب الله» اللبناني، و«لواء أبي الفضل العباس» العراقي، وخلايا «الحرس الثوري» الإيراني[5].

وهم اليوم ينفذون خطة كبرى لاحتواء الطرق الصوفية لإفسادها وتجنيد أتباعها لتحقيق مصالح الرافضة، كما فعل اليهود حين دخلوا في النصرانية لتحقيق مآربهم.

ولذا: فإن أكثر الباحثين يتحدثون عن التشابه بين التصوف والتشيع في المبادئ والمعتقدات، وقلَّ من يدرك وجود تيار واسع متغلغل داخل الكيان الخرافي الصوفي، كما لم تفطن جماهير الصوفية الغائبة أو المغيبة لهذا التيار الباطني المتقنّع بالتصوف، فهم في غفلة عما يراد بهم ومنهم، بل إن الانحراف الصوفي نحو التشيع، ووجود التشابه بين التصوف والتشيع؛ هو بسبب الكيد الشيعي والتآمر الباطني المستتر بقناع التصوف، وهذا جزء من استراتيجيتهم ووسائلهم للتسلل إلى مراكز التأثير في الأمة.

وبحسبك أن تعلم أن تسلل التيار الشيعي إلى الطوائف والمجتمعات لم يسلم منه أهل السنة[6]، بل أشدهم تحفظاً واحتراساً وورعاً وتقوى وعلماً، وهم أهل الحديث، فكيف بالتصوف الذي تشيع منه الخرافة ويسيطر عليه الابتداع؟! وقد كشف العلامة عبد الله السويدي - رحمه الله - كيف تسللوا إلى أهل الحديث، بقوله: «إن بعض علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين من أهل السنّة وحفظوا أسانيد أهل السنّة الصحيحة، وتحلّوا في الظاهر بحلي التقوى والورع، بحيث كانوا يعدون من محدثي أهل السنّة، فكانوا يروون الأحاديث صحاحاً وحساناً، ثم أدرجوا في تلك الأحاديث موضوعات مطابقة لمذهبهم، وقد ضل بذلك كثير من خواص أهل السنّة فضلاً عن العوام، لكن قيض الله بفضله أئمة أهل الحديث فأدركوا الموضوعات فنصوا على وضعها فتبين حالها حينئذ والحمد لله على ذلك»[7].

كما قام بعض شيوخهم المتستّرين بالانتساب للسنة، بابتداع بعض الأفكار المشابهة للفكر الشيعي ونشرها بين أهل السنة، فيرى الشيخ محمد أبو زهرة أن نجم الدين الطوفي (المتوفى سنة ٧١٦هـ) قد تعمد الترويج للمذهب الشيعي بهذه الوسيلة في بحثه عن المصلحة الذي قرر فيه أن المصلحة تقدم على النص؛ لأن هذا مسلك شيعي، حيث عند الشيعة أن للإمام أن يخصص أو ينسخ النص بعد وفاة الرسول ﷺ، فالطوفي قد أتى بالفكرة كلها، وإن لم يذكر كلمة الإمام وأبدلها بالمصلحة، ليروج القول وينشر الفكرة. ثم يقرر أبو زهرة بأن الطوفي في تهوينه شأن النص ونشر فكرة نسخه أو تخصيصه بالمصالح المرسلة، قد أراد تهوين القدسية التي تعطيها الجماعة الإسلامية لنصوص الشارع[8].

وهذا ليس بغريب من طائفة دينها «التقية» التي هي النفاق بعينه، ولذلك نجد الخميني يحثّ أتباعه على التسلل داخل الحكومات الإسلامية لمناصرة تنظيمهم السري، ويسمي ذلك «الدخول الشكلي» في الحكومات[9]؛ لذا يرى شيخهم محمد

(١) وحوثية اليمن جارودية وقد تحولوا في عصرنا إلى إثني عشرية، فجمعوا بين اعتقاد أسلافهم «الجارودية» الرافضة، وبين اعتقاد الإثني عشرية «السبئية» المعاصرة.

(٢) انظر: «الحوثية في اليمن»، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، صنعاء، بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، «التحولات الزيدية وعوامل ظهور الحوثية» لأبي صالح عبد الله بن نوح الحجري.

(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٢٥/ ٢٨٥).

(٤) انظر للتفصيل: «مسألة التقريب» (١/ ٣٨٣)، «أصول مذهب الشيعة» (٣/ ٢٠).

(٥) وتمويل هؤلاء المرتزقة من بترول الشعب العراقي.

(٦) للتعرف على جملة من مكائدهم في هذا الباب، ينظر: «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ٢٥-٤٧)، «مسألة التقريب» (١/ ٦١-٨٣).

(٧) «نقض عقائد الشيعة» (ص ٢٥- ٢٦) مخطوط.

(٨) انظر: «ابن حنبل» (ص ٣٦١)، وقد ترجم أبو زهرة للطوفي، وأثبت أنه من الشيعة (المصدر السابق: ص ٣٦١-٣٦٢). وانظر ترجمته في: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/ ٤٠٩-٤٢١).

(٩) انظر: «الحكومة الإسلامية» (ص ١٤٢).

جواد مغنية (رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت) وجوب العمل بالمكيافيلية، والتي تعني أن الغاية تبرر الوسيلة، ويقرر أن هذه هي عقيدة «التقية» عندهم[1]. وإن رابك شيء عن خطر الحركة الرافضية الباطنية التي تعمل في خفاء داخل أروقة التصوف (مع وجود ذلك التشابه العقدي المتعمد بينهما)؛ فتأمل التواصل المستمر الظاهر والخفي بين الطائفتين، والزيارات المتبادلة بين شيوخ الطرق الصوفية وملالي الرافضة، والتعاون بينهما، وقيام بعض شيوخ التصوف بتحقيق الأهداف السياسية للتشيع الصفوي، وتقديس شيوخ الروافض لرموز تيارهم الخفي المتسلل داخل التجمعات الصوفية.

بل إن بعض شيوخ الرافضة في عصرنا يتخذون من التيار الصوفي أداة للهجوم على السنة وأهلها، وربما يحتجون بما في كتبهم من تأييد لمناهج الروافض بدعوى أن هذا رأي أهل السنة، فمثلاً يستشهد الكاتب الشيعي المعاصر محمد حسين الزين في كتابه «الشيعة في التاريخ»، بتأويل سليمان الحنفي النقشبندي حديث مسلم: «إن هذا الأمر لا ينقضِي حتى يمضِي فيهم اثنا عشرَ خليفةً كلهُم من قُرَيش»[2]، يحتج بتأويل النقشبندي له بالأئمة الاثني عشر[3]، وذلك ليسند مذهبه برأي سني كما يزعم[4]. والحقيقة - كما يقول د. مصطفى الشيبي - أنه «لا دخل لأهل السنّة بهذا التوثيق، وإنما هي الصوفية المتشيعة التي ينتمي إليها النقشبندي»[5]. وأقول: بل هي «الشيعة المتصوفة» المتسللة داخل الطرق الصوفية. وقد أدرك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذه الظاهرة الخطيرة، وإن لم يحدد جهتها، حيث قال: «قد يوجد في بعض المنتسبين إلى مذهب الأئمة الأربعة من هو في الباطن رافضي»[6].

إن من المفاهيم الخاطئة الشائعة التي يجب أن تصحح، هو تصور عامة الناس أن العلاقة بين «التشيع» و«التصوف» هي نوع من التشابه غير المقصود، ولا ينبئ عن وجود طائفة قائمة لها كيانها ورجالها ومصادرها وتواصلها السري والعلني مع رموز الشيعة، واعتقاد بعضهم أن العلاقة بين التشيع والتصوف هي من قبيل الغزو الخارجي الشيعي للتصوف فقط، ولا وجود لطائفة باطنية رافضية قائمة تعيش وتقبع داخل الطرق الصوفية من مدة طويلة، ولا تزال هذه الطائفة تتوسع في تدميرها لكيان التصوف، ونقلهم إلى نحلتهم بأنواع الإغراءات وصنوف شتى من التلبيس والتدليس.

وقد أشارت مصادر صحفية مصرية إلى تقرير لمجمع البحوث الإسلامية كشف عن محاولة لنشر أفكار ومبادئ المذهب الشيعي بين أتباع ومريدي الطرق الصوفية في مصر من قبل بعض التيارات والجهات الشيعية التي تستغل التشابه بين التصوف والتشيع، وأن الأموال باتت تتدفق على أتباع الطرق الصوفية في مصر بعد تصريحات أطلقها بعض قيادات التصوف أشاروا فيها إلى أنه لا فرق بين الشيعة والمتصوفين، وفقما نسب إلى حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية. وحذر المجمع من تزايد النشاط الشيعي في مصر، خاصة مع قدوم لاجئين عراقيين ينتمون إلى المذهب الشيعي[7].

لقد قام «الرافضة المتصوفة» قديماً بإشاعة معتقدات توافق في المعنى والحقيقة المذهب الشيعي وإن اختلفت الألفاظ، وعملت على نشرها في الوسط الصوفي، حتى كاد أن يختفي الصوت المعتدل لأهل التصوف، الذي هو في حقيقته عبارة عن الزهد في الدنيا والانقطاع لعبادة الله، والذي قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن أسلافهم: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله»[8]، حيث تم - بتخطيط وتعمد وسبق إصرار - طرح عقيدة «الولاية» في الوسط الصوفي والمشابهة لعقيدة «الإمامة» عند الشيعة، وتم إشاعة عقيدة «الحفظ» للولي بين الصوفية، والتي تشبه عقيدة «العصمة» للإمام عند الشيعة، كما قام الشيعة المتصوفة بتقسيم الدين إلى «شريعة» و«حقيقة»، وهو يشبه تقسيم الدين إلى «تنزيل» و«تأويل» عند الشيعة الإمامية، وقالت الشيعة المتصوفة: إن الرسول ﷺ جاء ببيان الشريعة، والولي جاء ببيان الحقيقة، كما قالت الشيعة الإمامية: إن الرسول ﷺ جاء بالتنزيل، وجاء علي رضي الله عنه بالتأويل.

---

(١) انظر: «الشيعة في الميزان» (ص ٤٩).
(٢) «صحيح مسلم»: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (ح ١٨٢١).
(٣) مع ظهور بطلان هذا التأويل يقيناً، فلم يتولَّ الخلافة من الاثني عشر سوى علي والحسن - رضي الله عنهما -، ولم يدع أحد منهم أحقيته بالخلافة، بل تنازل الحسن عنها حرصاً على اجتماع المسلمين، ثم إن آخر الاثني عشر لا وجود له أصلاً، فضلاً عن أن يقال بإمامته وولايته.
(٤) انظر: «الشيعة في التاريخ» (ص ١١٨).
(٥) «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص ١١٠).
(٦) «منهاج السنة» (٤/ ١٣٣).
(٧) موقع مفكرة الإسلام:
http://www.islammemo.cc/akhbar/arab/200753752/01/11/.html.
(٨) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٨).

كما قامت «الشيعة المتصوفة» أو «رافضة الصوفية» بإشاعة مبادئ ومظاهر الشرك والوثنية في أوساط الصوفية، فمثلاً يوجد في مصر أكثر من ستة آلاف ضريح أكثرها تابع للمجلس الصوفي الأعلى، وصرح وزير الأوقاف المصري بأن حصيلة النذور التي جمعت من الأضرحة في الفترة من (٢٠٠٥/٧/١) إلى (٢٠٠٦/٦/٣٠)، بلغت ٥٢ مليوناً و٦٧ ألفاً و٥٧٩ جنيهاً (مع أن هناك الملايين من الأحياء تحت خط الفقر).

وقد أثبت موقع الصوفية أن عدد القبور والأضرحة التي تزار بشكل يومي، وتقدم لها القرابين والنذور، وتطلب منها قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ويسألون الشفاعة، ويستغاث بهم، في تهامة اليمن فقط؛ بلغ ما يقارب (١٧٨) ضريحاً، وقد قرر المحققون من أهل العلم بأن «الشيعة الباطنية» هم أول من أحدث عبادة القبور والمشاهد في أمة محمد ﷺ[١].



إن تغلغل هذا التيار الشيعي الباطني داخل الطرق الصوفية، وتكاثرهم العددي، وتأثيرهم العملي، وكيدهم الباطني، ومكرهم الخفي، وضررهم الخرافي، وخطرهم الوثني؛ هو الذي أرخى بسدوله المظلمة على التصوف الذي يعيش حالة من المبالغة في الزهد، والتوجه الروحي المتجرد، والتقوقع على الذات، حتى سخروهم لخدمة أهدافهم وتحقيق أغراضهم من حيث لا يشعرون.

إن هذه الخلية الرافضية السرية التي تنخر في كيان التصوف، وتعيث فيه فساداً؛ تظهر آثارها وملامحها في كثير من الطرق الصوفية، فغالب الطرق الصوفية تلتصق بعلي وسلمان رضي الله عنهما، وكل منها يدعي العلوم المكتومة الباطنة من طريق علي - رضي الله عنه -، كما أن أصول بعض الطرق الصوفية فارسية بحتة كالطريقة النقشبندية.

ويبدو من خلال الاستقراء والدراسة والنظر أن التيار الشيعي الباطني إذا أنهى أو أكمل عملية تحويل الطريقة الصوفية إلى المسار الشيعي الباطني؛ فإنه يتم حينئذ كشف المستور والخروج عن التقية كما ترى الحال بالنسبة للطريقة «الختمية»، حيث أفصحت وأعلنت تشيعها بالكامل من خلال ارتباطها اعتقاداً واستدلالاً ومنهجاً ومصيراً بالتشيع، ولذا ترى بعض شيوخ الطريقة «الختمية» المعاصرين يحتجون بنفس حجج الإمامية، ويطعنون في الصحابة كحال إخوانهم الرافضة، سواء بسواء، ومثل ذلك «البكتاشية»، حتى عدها الكوثري من ألقاب الشيعة الإمامية[٢]، وكذلك الطريقة «العزمية»[٣]. ثم يتحدث بعض من لا يدرك أبعاد المكر الباطني بأن هذا تشابه، وهذا آخر ما وصلت إليه دراستهم.

---

(١) انظر: «الرد على الأخنائي» لابن تيمية (ص٤٧).
(٢) انظر : مقدمة «كشف أسرار الباطنية» للكوثري.
(٣) انظر على سبيل المثال: سلسلة «شبهات حول الشيعة» من إعداد لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، وفيه محاولة للدفاع عن الشيعة وترويج عقائدهم في: الإمامة (١/ ١١٠-١١٢)، وأن ابن سبأ أسطورة لا وجود لها (٢/ ١٧، ٩٤)، وجواز العمل بالتقية (٣/ ١٣)، والطعن في عدالة الصحابة (٣/ ٧٠)، والقول بعصمة الأئمة (٤/ ٩٩،٤٥)، والمتعة (٥/ ٨٩-٩٠)، والبداء (٦/ ٥١-٥٢)، والانتظار (٦/ ٨٤)، والرجعة (٦/ ١١٦) .

ومن إفرازات هذه الخليـــة الباطنية الصوفية قيام بعض رموزهـــا بمناورات ماكرة وحيل ســـافرة، وهـــي الإعلان عن انتقالهم من السنة إلى الشيعة، وقيامهم بتأليف بعض الكتب التي يدّعون فيها تحولهم من الســـنة إلى الشيعة، وقد مرت هذه الخدعة على بعضهم، وظنوا أنها حقيقة، وما علموا أنها «الرافضة الباطنية المستترة برداء التصوف»[(١)].

إن قلـــة من الناس من يســـتطيع أن يفرق بين «الشـــيعة الصوفية» و«الشـــيعة المتصوفة» و«الصوفيـــة الزاهدة» ذات التوجه الســـني في الأصل، وموضوع هذا البحث هو «الشيعة المتصوفة».

أما «الشـــيعة الصوفية»، فإن رموزهـــا يجاهرون بمبادئ «التصوف المنحرف» ومبادئ «التشيّع الغالي»، وربما كان ذلك إحدى الخطط الاستراتيجية لاستيعاب الطرق الصوفية، كما فعلوا من قبل في اســـتيعاب فرق التشـــيّع التي ظهرت على امتـــداد التاريخ، ومزج آرائها ومعتقداتها في التشـــيّع الاثني عشـــري[(٢)]، فمؤســـس الدولة الصفوية الحديثة في عصرنا الخميني الموســـوي مثلاً، هـــو من غلاة المتصوفـــة القائلين بالحلول والاتحاد، فهو من الشـــيعة الصوفية، وتتمثل صورة التصوف الغالي عنده في أقبح مظاهرها وفي أشـــد تطرفها في كتابه: «مصباح الهداية»[(٣)]، وكتابه الآخر: «سر الصلاة»[(٤)]، كما أنـــه يعتمد التلقي في هذا البـــاب عن أقطاب التصوف الغلاة كابن عربي الذي يصفه بـ «الشيخ الكبير»[(٥)]، والقونوي الذي يصفه بـ «خليفة الشيخ الكبير محيي الدين»[(٦)]، وهما من الشـــيعة المتصوفة، كما يذهب مذهب غلاة الصوفية القائلين بأن النبوة مكتســـبة[(٧)]، هذا فضلاً عن اتفاقه وسائر بني ملته في جملة من المبادئ العقدية مع غلاة الصوفية[(٨)].

إن «الشـــيعة المتصوفة» هي التي تسخر الطرق الصوفية لتحقيـــق أهدافها، وتســـييس التوجه الصوفـــي ليتحول إلى كيانات سياسية موالية لإيران، ومتآمرة ضد دول الإسلام.

يتخذ الشـــيعة من التصـــوف مدخلاً علـــى المجتمعات الإســـلامية للترويج لنحلة «الرفض» و«الزندقة»، والروافض يرون أن البيئات التي ينتشر فيها التصوف تمثّل المناخ أو التربة الصالحة لنشر الرفض، وقد أطلعني أحد الباحثين العراقيين قديماً على تقرير ســـري لخطة نشـــر المذهب الرافضي في البلاد المصرية، وكان التقرير ينـــص على أن البيئة المصرية، حسب زعمهم، بيئة صالحة لنشـــر مذهبهم؛ لوجود وانتشار الطرق الصوفية، وكذلك وجود ما يســـمى مشاهد أهل البيت المزعومة، كمشـــهد الحسين والسيدة زينب، إضافة إلى وجود قبائل الجعافرة في الصعيد.

ويذكر أحد المتشيعة في مصر، ويدعى محمد الدريني، أن عدد الشـــيعة في مصر حسب تقرير الحالة الدينية للخارجية الأمريكية، قدر بـ ٧٥٠ ألفاً، لكنه يزعم أن عدد الشـــيعة أكثر من ذلك، ويســـتند في هذه الدعوى إلى قوله: «لا بد أن نضع فـــي اعتبارنا وجود مـــا لا يقل عن مليون مـــن صوفية مصر يتّبعون الفكر الشيعي، وهكذا الحال في السودان ودول إفريقية أخرى». وهو يشـــير هنا إلى «الشـــيعة المتصوفة» أو «رافضة الصوفية»، فهم صوفية في الظاهر وشيعة في الباطن[(٩)].

ومع وجود هذا التيار الخفي داخل التصوف والذي يجهله الكثير، فإن الخطر الأكبر في أن هناك توجهات عربية وغربية لدعم الحالة الصوفية، مع حملها في أحشـــائها ومن داخلها «الحمل الباطني الرافضي». يقول د. عبد الوهاب المســـيري: «مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإســـلام يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشـــاراً الآن في الغرب مؤلفات ابن عربي وأشـــعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونجـــرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشـــجيع الحـــركات الصوفية، فالزهـــد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي»[(١٠)].

ويزعـــم المستشـــرق الألماني شـــتيفان رايشـــموت[(١١)] أن «مستقبل العالم الإسلامي سيكون حتماً للتيار الصوفي»[(١٢)].

(١) ومن أمثلة هؤلاء الباطنية الصوفية المدعو محمد التيجاني الذي أصدر عدة كتب في هذا الموضوع، وكان له حضور خاسر وسجال ومحاورات في بعض الفضائيات، ومثله المدعو محمد مرعي الأنطاكي الذي ادّعى أنه كان قاضي القضاة على مذهب أهل السنة في حلب، مع أنه لا يعرفه أحد من علماء حلب، قال لي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة – رحمه الله –: «هذا نكرة لا يعرف لا في حلب ولا سورية، وهو جاهل ضعيف الحجة». قلت: وربما كان من باطنية أنطاكية، أو شخصية وهمية.

(٢) انظر للتفصيل: «أصول مذهب الشيعة» (٣/ ١٩) وما بعدها.

(٣) انظر: «مصباح الهداية» (ص ١٣٤، ١٤٢، ١٤٥).

(٤) انظر: «سر الصلاة» (ص ١٧٨).

(٥) انظر: «المصدر السابق» (ص ٨٤، ٩٤، ١١٢).

(٦) انظر: «المصدر السابق» (ص ١١٠).

(٧) انظر: «المصدر السابق» (ص ١٤٨–١٤٩).

(٨) انظر: «أصول مذهب الشيعة» (٣/ ٢١٣–٢١٦).

(٩) وقد كان لهم أثر ظاهر وخفي في إحداث الفتنة في مصر.

(١٠) موقع الجزيرة نت:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/...551912A33B2.htm.

(١١) أستاذ الدراسات الشرعية والعلوم الإسلامية بجامعة (الرور) بـ (بوخوم) بألمانيا.

(١٢) مقال «الصوفية هل تكون النموذج الأمريكي للتغيير»، عمار علي حسن،
http://www.onislam.net/arabic/madarik/culture-ideas/97678-2005-02-06%2019-24-06.html.

ويقول دانيال بايبس[1]: «إن الغرب يسعى إلى دعم التصوف الإسلامي لكي يستطيع ملء الساحة الدينية والسياسية، وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة، وإقصائه نهائياً عن قضايا السياسة والاقتصاد، وبالطريقة نفسها التي استخدمت في تهميش المسيحية في أوروبا والولايات المتحدة»[2].

وفي صيف عام ٢٠٠٤ أصدرت مؤسسة «راند»[3] تقريراً[4] تضمّن توجيه الولايات المتحدة الأمريكية بـ «تشجيع انتشار وقبول الصوفية في المجتمعات الإسلامية»[5].

وقد كتب الأستاذ فهمي هويدي مقالاً يعلق فيه على هذا التقرير، ومما قال: «إن التقرير لا يخفي دعوة صريحة إلى تشجيع التصوف، وهو ما يعد نوعاً من الدعوة إلى التعلق بما يمكن أن نسميه الإسلام الانسحابي[6] الذي يقلص التدين في دائرة روحية لا يتجاوز حدودها، فهو يتحدث صراحة عن أهمية تعزيز الصوفية وتشجيع البلدان ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على ذلك الجانب من تاريخها، وعلى إدخاله ضمن مناهجها الدراسية، بل يلح على ذلك في عبارة أقرب إلى الأمر تقول: لا بد من توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصوفي»[7].

وفي ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٣م استضاف مركز نيكسون[8] مؤتمر برنامج الأمن الدولي في واشنطن لاستكشاف مدى دور

(١) مؤلف ومؤرخ أمريكي متخصص في نقد الإسلام، مؤسس ومدير «منتدى الشرق الأوسط»، وإحدى الشخصيات البارزة في تيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، ومن زعماء الحركة الصهيونية، وأحد كبار المحرضين على شن الحرب على العراق.

(٢) صحيفة الزمان، عدد (١٦٣٣)، تاريخ (١٢/١٠/٢٠٠٣م)، نقلاً عن «التصوف بين التمكين والمواجهة» لمحمد بن عبد الله المقدي (ص ٨).

(٣) مؤسسة راند مؤسسة بحثية تابعة حالياً للبيت الأبيض، أنشئت عام ١٩٤٦ كمركز تطوير للمشاريع والبحوث العلمية والسياسية والعسكرية التابع للقوات الجوية في وزارة الدفاع الأمريكية، لمساعدة المؤسسة العسكرية على معالجة التحديات الجديدة في مجالي الإرهاب والأمن القومي، وتقاريرها معتمدة في توجيه سياسة الحكومة الأمريكية.

(٤) أعدته الباحثة في قسم الأمن القومي شيرلي بينارد، وهي زوجة زلماي خليل زاده الذي كان يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، وكبير مستشاري الأمن القومي المسؤول عن الخليج العربي وجنوب شرق آسيا، والذي كان سفيراً لأمريكا في العراق، وهو من أصل أفغاني، وينتمي إلى المحافظين الجدد، ومعروف بآرائه المتطرفة.

(٥) «الإسلام الديمقراطي المدني.. الموارد، الاستراتيجيات، الشركاء» (ص ٧).

(٦) لا يصح وصف الإسلام بالانسحابي، وإنما قد يوصف به بعض أتباعه.

(٧) «جريدة الأهرام» تاريخ (١٠/٨/٢٠٠٤) عدد (٤٢٩٨١).

(٨) مركز نيكسون مؤسسة سياسية عامة تأسست عام ١٩٩٤م، وقد أسسها الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون، وهو متخصص في تحليل التحديات والسياسات التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية من خلال التركيز على المصلحة الأمريكية القومية (انظر مقدمة تقرير: «فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية» ترجمة د. مازن مطبقاني).



الصوفية فيما يتعلق بأهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وقد عقد المؤتمر في ثلاث جلسات، واحدة منها سرية.

الجلسة الأولى: حول الصوفية: التاريخ، الفلسفة، الجماعات.

الجلسة الثانية: حول الصوفية في أوروبا وآسيا[9].

ويذكر المستشرق برنارد لويس[10] أن اهتمامهم بالتصوف لأنه يذهب إلى أن «الأديان جميعها أصلها واحد، وكل الأديان

(٩) انظر تقرير: «فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية» (ص ٦).

(١٠) ولد برنارد لويس في لندن عام ١٩١٦م، وهو بريطاني الأصل يهودي الديانة صهيوني الانتماء أمريكي الجنسية، عمل مدرساً في قسم التاريخ للدراسات الشرقية الإفريقية، وهو مستشار مسموع الرأي عند المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية، وقد أقيم له حفل تكريمي في تل أبيب، وقالوا عنه: «علمنا برنارد لويس كيف نفهم التاريخ المعقد والمهم للشرق الأوسط واستخدامه ليقودنا نحو المرحلة الجدية لبناء عالم أفضل للأجيال الصاعدة»، كما قام لويس بقيادة الإدارة نحو مرحلة جديدة في العراق، وكان قد أوضح أن اجتياح هذا البلد سيخلق فجراً جديداً، ويقال: إنه صاحب مشروع تقسيم الدول العربية والإسلامية.

لها هدف واحد، ورسالة واحدة، وهم يعبدون الإله نفسه، والله في الكنيسة وفي المسجد»[1]. وفي تقرير نشرته مجلة يو إس نيوز الأمريكية عام ٢٠٠٥م بعنوان: «قلوب وعقول ودولارات» يهدف إلى استراتيجية تدَّعي الوصول إلى العالم الإسلامي، يقول هذا التقرير في إحدى فقراته: «يعتقد الاستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصوفية بأفرعها العالمية قد تكون واحداً من أفضل الأسلحة». ونقلت المجلة الأمريكية المذكورة أن واشنطن قامت بتمويل محطات إذاعة إسلامية وبرامج تلفزيونية ودورات تعليمية للترويج للإسلام المعتدل في أكثر من ٢٤ دولة إسلامية[2].

وحضر السفير الأمريكي في القاهرة مولد البدوي في ١٦/١٠/١٤٢٦هـ، معلناً إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، ويقال بأنه انتسب إلى الطريقة الأحمدية وصار مريداً فيها، حيث أخذ العهد من أحد شيوخ الصوفية في مولد الشيخ البدوي[3]. كما طلب السفير الأمريكي فرنسيس ريتشارد مقابلة شيخ مشايخ الطرق الصوفية حسن الشناوي، وتمت المقابلة في مقر المشيخة العامة بالحسين، كما حضر السفير الأمريكي في المغرب السهرة الصوفية التي أقيمت في الرباط[4].

وهناك مادة علمية واسعة حول الاهتمام الدولي والعالمي بأمر التصوف، ليس هذا مجال عرضها، وهو في أساسه يعتمد على أمور عدة، منها:

١- توهم بعضهم أن التصوف هو مصدر التسامح وأساس التعايش مع الآخر، وغاب عنهم أن التسامح هو في الإسلام السالم من الشرك والابتداع.

٢- التآمر على أهل الإسلام بالاستفادة من عنصر التصوف الخرافي لنشر الجهل وإبقاء حالة التخلّف في الأمة.

٣- خفاء التيار الباطني المتقنّع خلف التصوف عن الكثير.

والتصوف اليوم بطرقه ورجاله ومريديه وأربطته وزواياه والباطنية التي تحركه من الداخل، والاهتمام العالمي، خاصة الغربي، بشأنه؛ لم يعد مجرد فرقة مختفية خلف الزوايا، بل صار مؤسسات ضخمة لها امتدادها عبر القارات. وفي اعتقادي أن المحرك السياسي والتنظيمي له هو «الشيعة المتصوفة» المعروفة بتخطيطها وتنظيمها واختراقها الفرق، وسريّتها وتلونها بحسب المصالح، وهذا التيار يحتاج في مواجهته إلى أمرين:

الأول: كشف خطر وضرر هذا التيار على المسلمين عامة، وعلى أهل التصوف خاصة، ببيان عقائدهم وخططهم؛ لأن معرفة حال المخالف وعقيدته هي الأساس لبيان الحق له، كما فعل النبي ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن بقوله: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...» الحديث[5]، فبيّن له حالهم واعتقادهم قبل تعريفه بمنهج دعوتهم.

الثاني: العمل على نشر السنة والتحذير من البدعة بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

والمتعين دراسة علمية واسعة تتناول التيار الخفي والخطير في التصوف - أعني «رافضة الصوفية» أو «الصوفية المتشيعة» - تتجاوز حدود المقارنة العقدية إلى الكشف عن خطر هذا التيار وخططه ومكائده، وهذا يحتاج إلى أمور عدة، منها:

أولاً: دراسة ميدانية عن حالة التصوف في البلدان التي تنتشر فيها هذه الطائفة.

ثانياً: رصد المجلات والدوريات الصوفية.

ثالثاً: جمع الكتب الصوفية المعتمدة.

رابعاً: مقابلة رجالات أو بعض رموز التصوف.

خامساً: رصد النشاط الصوفي المعاصر.

سادساً: الوقوف على الوسائل والمناهج والمسالك الخفية للتيار الباطني.

سابعاً: تحديد العقائد الباطنية الموجودة داخل التيار الصوفي.

ثامناً: تحديد الشخصيات الباطنية المختفية داخل التصوف من خلال آثارهم.

ولعل الله ييسّر القيام بشيء من ذلك في بحث مفصل - إن شاء الله تعالى -، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر: «المصدر السابق» (ص ٣٨).

(٢) صحيفة يو إس نيوز: تاريخ (٢٥/٤/٢٠٠٥م)، نقلاً عن « التصوف بين التمكين والمواجهة » (ص ٢٩-٣٠).

(٣) صحيفة الشرق الأوسط: تاريخ (١٦ شوال ١٤٢٦هـ)، صحيفة المصري: تاريخ (٢/١١/٢٠٠٧م).

(٤) صحيفة الوطن العربي: تاريخ (٥/٥/٢٠٠٦م)، نقلاً عن «التصوف بين التمكين والمواجهة» (ص ٣٢).

(٥) أخرجه البخاري (ح ١٤٥٨)، ومسلم (ح ١٩).